في التفسير الموضوعي (٤)

منهجية القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين

د. رمضان خميس
كلية الشريعة جامعة قطر

دار البشير للثقافة والعلوم

منهجية القرآن الكريم
في التعامل مع المنافقين

الطبعة الأولى
1443هـ
2022 م

اسم الكتاب: منهجية القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين
التأليف: د. رمضان خميس
موضوع الكتاب: إسلامي
عدد الصفحات: 92 صفحة
عدد الملازم: 5.75 ملازم
مقاس الكتاب: 14x20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2021 / 27077
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 278 - 923 - 8

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

دار البشير للثقافة والعلوم
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

منهجية القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين

د. رمضان خميس

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

دار البشير للثقافة والعلوم

إهداء

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد ﷺ وآله وصحبه ومن والاه، اللهم إنا نبرأ من حولنا وطولنا وقواتنا، ونلوذ بحولك وطولك وقوتك؛ فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا قبضتها يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك يا حنان يا منان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام أن تجعل أقوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا فيك لك خالصة إنك على كل شيء قدير وبعد :

توصيف المشكلة أو تحرير محل النزاع

لقد شهدت منطقتنا العربية حالة من حالات التغير الطَفْري، وصورة من صور الكشف الحقيقي لأنواع الناس وأنماطهم بناء على التغير الجذري الذي عاشته-وما زالت تعيشه - ، وكان لزاما على العلماء والباحثين والدعاة والمربين أن يرصدوا هذا التغير ويتعاملوا معه بمنهجية تعتمد في لحمتها وسداها على القرآن الكريم، مستصحبة الواقع وما طرأ عليه من أحداث كشفت وما زالت تكشف عن هذه الأنواع البشرية التي صدم بها كثير من الناس، وعجبوا أشد العجب من تغيرها وتبدلها وتغير سلوكها وتعاملها، بل تبنيها لقضايا جد باطلة، ومفاهيم غير صحيحة، بل فاسدة بِّين فسادها، واضح عوارها، وفجع

الناس في أناس حسبوهم حينا من الدهر علماء ودعاة وأصحاب رسالة، فإذا بالأحداث الراهنة تبين أنهم آكلون على كل الموائد، مستفيدون من كل عصر فهم أدوات كل العصور، وأبواق كل الدهور، ومطايا لكل راكب، كما بان من هذه الأحداث إعلاميون تغيروا تغيرا من النقيض إلى النقيض، ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، كما وضح موقف شرائح من المجتمع المصري تدعوا إلى إعادة النظر إليها، والتقييم لها على أسس علمية قرآنية.

الهدف من الدراسة

والهدف من الدراسة ليس التوصيف وإنما تقديم منهجية ثابتة، واضحة، لحالة واقعية غير متخيلة، والغرض منها ليس تقديم صورة صماء من صور الحكم، أو منهجية صامتة، بل الهدف الأساس منها تقديم رؤية قرآنية واضحة عن منهجية التعامل مع هذا الصنف من الناس الذي يتلون تلون الحرباء، ويتغير تغير الأيام، ويتصرف تصرف الدهور، ويعيش بوجهين، يلقى هذا بوجه وهذا بوجه، وهو من قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : (تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يلقى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه

حدود الدراسة

تقتصر الدراسة على حصر الآيات التي تتناول منهجية التعامل مع المنافقين وتنزيلها على الواقع ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، وتمضي

على المنهج الموضوعي الوسيط الذي يسعى إلى حصر الآيات الجامعة للصورة القرآنية الشاملة عن توصيف وتوظيف المادة القرآنية، والاستعانة على فهم ذلك بالتفاسير المعتمدة.

منهج الدراسة

وسنمضي في منهجية الجمع لهذه الدراسة على المنهاج الموضوعي في القرآن الكريم وهو الذي يعنى بتتبع الحكم القرآني في مواطنه المتعددة، وصوره المختلفة؛ حتى يكون الحكم القرآني جامعا ومستوعبا لكل أطراف الموضوع؛ طبيعةَ الدرس الموضوعي في القرآن الكريم، فنسلم أنفسنا إلى عطاءات القرآن، وتصورات القرآن، وحكم القرآن؛ شأن المسلم الواثق في حكم الله العدل، وقضائه الفصل، وعلمه الشامل، ولطفه الكامل.

وحرَصت على جمع الآيات المتعلقة بالموضوع ، ثم فرزها من حيث أجمعُها للقضية، ورتبتها من حيث المكيةُ والمدنيةُ، حتى تعطي صورة كاملة عن القضية -والزمن جزء من رسم تلك الصورة الصادقة، وتنزيلها على الأحداث المدروسة قدر طاقتي، وحرَصت على أن تكون العناصر المعنونة من صميم الآيات القرآنية؛ جريا على المعتمد من المناهج في هذا اللون من ألوان التفسير الموضوعي[1]، أما في الشرح

(١) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، لأستاذنا د عبد الستار فتح الله سعيد ط:دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: الثانية،١٤١١هـ،١٩٩١م،ص ٥٩،٦٠.

والاستنباط، فأفدت من كتب التفسير في كل المدارس من مأثور ورأي، فمررت على مدارس متعددة وألوان متباينة، زمانا، ومكانا، واتجاها، ومنهاجا، وفكرا.

أهمية الوجهة الشرعية في التصور والسلوك وفي ذروتها القرآن وعلومه

ويحملنا عل هذه الوجهة حملا، ويأطرنا عليها أطرا حقية أحكام القرآن وعدم تبدلها أو تغيرها، أو خضوعها لما يخضع له حكم البشر، وأهواء البشر، وميول البشر، خاصة أن كل وجهة بشرية تبنى على معرفة تتغير بتغير المقدمات، وتتباين بتباين المعرفة والمعلومات.

هيكل البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة ويكون على النحو الآتي:

المبحث الأول

النفاق مفهومه ودلالاته في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني

المطلب الأول: مفهوم النفاق والمنافقين في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم النفاق والمنافقين في الاصطلاح

المطلب الثالث: مفهوم النفاق والمنافقين في الاصطلاح والاستعمال القرآني

المبحث الثاني صفات المنافقين إجمالا وعلاقتها بالأحداث الراهنة

المبحث الثالث وسائل المنافقين في الصد عن سبيل الله وكيفية التصدي لها

المبحث الرابع منهجية القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين

المبحث الخامس: سنة الله تعالى في المنافقين

الخاتمة

أهم المصادر والمراجع

والله وحده خير مسؤول ومأمول

***

المبحث الأول

النفاق مفهومه ودلالاته في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني

في هذه المساحة نتناول مفهوم النفاق والمنافقين على مستويات ثلاثة، في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني أو الاصطلاح القرآني، ويدعونا هذا إلى تقسيم الحديث على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم النفاق والمنافقين في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم النفاق والمنافقين في الاصطلاح

المطلب الثالث: مفهوم النفاق والمنافقين في الاصطلاح والاستعمال القرآني

***

المطلب الأول

مفهوم النفاق والمنافقين في اللغة

كلمة نفق أصل ثلاثي صحيح، ودارت على عدد من المعاني يجمعها رابط دقيق وهذه المعاني هي: الموت، والستر، والنفاد، والفناء والنقص والانقطاع من كل شيء، كما تدل المادة على الرواج .

قال ابن السكيت في كتاب الألفاظ : نَفِقَ مالُه يَنفَقُ نَفَقًا، إذا نقَصَ وقلَّ وذهبَ. ويقالُ: نَفِقتْ نِفاقُ القومِ –وهيَ جمعُ نَفَقةٍ– إذا قلّتْ.[١]

وقال صاحب العين: نفق: نفقت الدابة تنفق نفوقا أي ماتت ونفق السعر ينفق نفاقا إذا كثر مشتروه. والنفقة: ما أنفقت واستنفقت على العيال ونفسك. والنفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان)[٢].

وقال ابن دريد في الجمهرة (... ونَفِقَ الطعامُ نِفاقاً فَهُوَ نَافق، إذا نَفِدَ، وَقد قَالُوا: نَفَقَ. والنَّفاق: ضد الكساد نَفَقَ ينفُق فَهُوَ نَافق. وَقَالُوا: نَفَقَ الدابّةُ، إذا مَاتَ). قَالَ أَبُو بكر: وَلَيْسَ كل أهل اللُّغَة صحّح هَذِه اللَّفْظَة. وأنفقَ مالَه إنفاقاً، إذا أتْلفه.[٣]

---

(١) ص: ١٨، وانظر إصلاح المنطق (ص: ١٤٦).

(٢) العين (٥ / ١٧٧).

(٣) جمهرة اللغة (٢/ ٩٦٧). تهذيب اللغة (٩/ ١٥٥).

اللحياني: نفق ماله ينفق نفقا: إذا نقص ونفقت نفاق القوم: إذا نفدت. والنفاق: جمع النفقة.

قال: والنفق: السريع الانقطاع من كل شيء.يقال: سير نفق، أي: منقطع. نفق: قال الليث: نفقت الدابة: إذا ماتت[١].

وقال صاحب تاج اللغة: والنفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان.[٢]

كما تدل أصول المادة على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه. ومتى حصل الكلام فيهما تقاربا.

فالأول: نفقت الدابة نفوقا: ماتت، ونفق السعر نفاقا، وذلك أنه يمضي فلا يكسد ولا يقف. وأنفقوا: نفقت سوقهم. والنفقة لأنها تمضي لوجهها. ونفق الشيء: فني يقال قد نفقت نفقة القوم.وأنفق الرجل: افتقر، أي ذهب ما عنده.[٣]

***

(١) تهذيب اللغة (٩/ ١٥٧). مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٨٧٧)،متخير الألفاظ (ص: ١٥٥) ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص: ٣٠٢.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٥٦٠).

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٤٥٤)، المخصص (٣/ ٤٥١). المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٤٤٧). لسان العرب (١٠/ ٣٥٨) أساس البلاغة (٢/ ٢٩٥).

المطلب الثاني

النفاق في الاصطلاح

و«النفاق»، اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص، والمنافق هو من يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن عرف أصله في اللغة كنافق منافقة، أخذ من النافقاء: أحد جحر اليربوع، إذا طلب من واحد خرج من الآخر، وقيل: من النفق وهو سرب يستتر فيه.[١]

ومنه نافق ينافق، نفاقا ومنافقة، فهو منافق ونافق الشخص: أظهر خلاف ما يبطن «لا تنخدع به فإنه ينافق- نافق رؤساءه..وأظهر إيمانه بلسانه وستر كفره في قلبه ...».

ومنافق: اسم فاعل من نافق: مخادع و هو من يخفي الكفر في قلبه ويظهر الإيمان بلسانه والنفاق هو: إخفاء الكفر في الباطن والتظاهر بالإيمان أو كفر عناد: وهو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب أو كفر نفاق: وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بقلبه والجميع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منهم لا يغفر له[٢].

(والنفاق، وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب)[٣].

---

(١) مجمع بحار الأنوار (٤/ ٧٥٩).وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٩٨).

(٢) الكليات (ص: ٧٦٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨١٩).

وتتبع صاحب البصائر أيضا المادة فقال: (النفق، يدل على انقطاع الشيء وذهابه، وتارة على إخفاء الشيء وإغماضه، وعلى مضى شيء ونفاذه، ومنه نفق البيع نفاقا: راج، وفى المثل: «دون هذا وينفق الحمار». ونفقت الدابة نفوقا: ماتت.

ويقال: نفقت نفاق القوم تنفق نفقا بالتحريك أي فنيت نفقاتهم. ورجل منفاق: كثير النفقة...وأنفق القوم: نفقت سوقهم.ونفق السلعة تنفيقا: روجها.والنفق: السرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر ، قال الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ....﴾.

والنافقاء: إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها، وهو موضع يرققه فإذا أتى من جهة القاصعاء ضرب برأسه النافقاء وخرج، ومنه المنافق فإنه يدخل في الدين من باب ويخرج من باب.)[1]

***

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ١٠٤، ١٠٥).

المطلب الثالث

النفاق في الاصطلاح القرآني

وردت مادة النفاق في القرآن الكريم سبعا وثلاثين مرة، ووردت بصيغ: الماضي والمصدر، واسم الفاعل، هكذا: (نافقوا- النفاق- المنافقات- المنافقون-)

ويمكننا أن نتلمس الاصطلاح والاستعمال القرآني في الصور الاتية:

١- أن المادة وردت بصورة الماضي وفيه دلالة على أن هذا المرض العضال قديم وموجود على مدار تاريخ البشرية.

٢- ولم تأت المادة بصورة الأمر ولا المضارع؛ فلا يتصور الأمر به لشناعته وفظاعته وأثره في فساد الأمم وضياع العمران، ولم يأت بالمضارع على الرغم من استمراره في كل عصر ومصر ولعل فيها إشارة إلى سرعة حبوطه وثبوطه، كأنه ليس موجودا؛ فهم ينفقون وينافقون ثم يكون عليهم حسرة، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)

٣- أنه ورد بصيغة اسم الفاعل، للمذكر والمؤنث ، وفيه إشارة إلى أن هذا الصنف يشترك فيه الذكور والإناث، والواقع المعيش يؤكد هذا ويزكيه؛ فهو مرض نفسي عضال وداء قلبي خطير لا يرتبط

بالجنس، بل بطبيعة النفوس الضعيفة التي تتلون تلون الحرباء، وتتغير تغير الريح، حتى إذا تمكنت قتلت، كما قال العرب قديما:

وضعيفة فإذا أصـــابت غرة قتلت كذلك عادة الضعفاء[١]

٤- أنها لم تأت مسندة إلى المفرد وفيه إشارة عجيبة إلى أنهم لا ينشطون إلا في مجموعات جرثومية تفسد البلاد والعباد، فإذا كان وحده لم يتحرك بل كمن فلا لون له ولا طعم ولا رائحة، والراصد للأحداث التي تمر بها بلادنا وأمتنا يؤكد هذا.

٥- وملاحظ كذلك أنها لم تأت في الفترة المكية وذلك لأمور منها طبيعة المجتمع المكي الواضحة فإما أن يكون معك وإما أن يكون عليك شأن العربي الصحيح صراحة بيان وصحة موقف، وليت العرب يعودون لطبيعتهم التي اختيروا من أجلها ليكونوا مخ الإسلام ودماغه، وحملة رسالته ورافعي لوائه، كما أن المسلمين في مكة لم يكونوا قوة تدفع غيرهم لينافقهم أو يتلون أمامهم، لكن عندما انتقل الإسلام من مرحلة الدعوة إلى الدولة جدت متغيرات كثيرة منها هذا النفاق.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

المبحث الثاني

صفات المنافقين إجمالا وعلاقتها بالواقع المعيش

رصد القرآن الكريم عددا من صفات المنافقين؛ تعرية لهم، وكشفا لأحابيلهم، وفضحا لمواقفهم، وتعريفا للمؤمنين بمسالكهم ودروبهم ووسائلهم في التعامل حال الضعف والقوة، والرخاء والشدة، كما نزلت سورة كاملة باسمهم هي سورة المنافقون، كما تكفلت سورة التوبة بفضحهم وكشف أفعالهم الخبيثة، ومكرهم السيئ عدا السور التي تضمنت صفاتهم والحديث عنهم على طول القرآن المدني وعرضه، ولا يسعنا في هذه الدراسة العجلى أن نحصر كل صفاتهم،؛ لضيق المقام من ناحية، ولأن حصر صفاتهم ليس هدفا في ذاته، فنكتفي ببعض الصفات التي تبين للناس عوارهم وكيفية التعامل معهم، آملين ان يجد القارئ الكريم في هذا التوصيف ما يستطيع أن يعقد بينه وبين الواقع الذي تعيشه بلادنا العربية في هذه المرحلة الراهنة صلة؛ حتى يكون التوصيف مقدمة للتوظيف، والوعي أساسا للسعي والإدراك مدخلا إلى الحراك والإفادة من هذا الرصد، ومن هذه الصفات ما يأتي:

- استبطان الكفر والتحاكم إلى الطاغوت والصدود عن الله ورسوله

لقد وصفهم القرآن الكريم بالرغبة في التحاكم إلى غير شرع الله، وتقديم غيره عليه، وإذا دعوا إليه صدوا عنه وأعرضوا إعراضا شديدا،

فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾، [النساء: ٦١].

(هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل: في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة. وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا، ولهذا قال يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت إلى آخرها. وقوله يصدون عنك صدودا أي يعرضون عنك إعراضا كالمستكبرين عن ذلك)[1].

- **إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى**

ومن صفاتهم الخبيثة أنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى تلك الفريضة التي تهفو إليها النفس وترتاح لها الأفئدة وتطمئن معها القلوب، ومع هذا لا يقومون إليها إلا وهم كسالى، كما قال الله تعالى

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٠٥).

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾، [التوبة: ٥٤].

إن هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة إذا قاموا إليها، قاموا وهم كسالى عنها، لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها فهم لا يقومون إلى الصلاة بحرارة الشوق إلى لقاء الله، والوقوف بين يديه، والاتصال به، والاستمداد منه.. إنما هم يقومون يراءون الناس. ومن ثم يقومون كسالى، كالذي يؤدي عملا ثقيلا أو يسخر سخرة شاقة! وكذلك هم لا يذكرون الله إلا قليلا. فهم لا يتذكرون الله إنما يتذكرون الناس! وهم لا يتوجهون إلى الله إنما هم يراءون الناس.)[1]

كثيرو الحلف

ومن صفاتهم كذلك كثرة الحلف والأيمان، تعرفهم في لحن القول، حلافون كذابون، يحلفون على الكذب وهم يعلمون، كما وصفهم القرآن الكريم بأنهم خوارون ولاجون صدق الله ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٨٧) في ظلال القرآن: (٢/ ٧٨٤).

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾، [التوبة: ٥٦- ٥٨].

يخبر الله تعالى نبيه ﷺ عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم يحلفون بالله إنهم لمنكم يمينا مؤكدة وما هم منكم أي في نفس الأمر ولكنهم قوم يفرقون أي فهو الذي حملهم على الحلف لو يجدون ملجأ أي حصنا يتحصنون به وحرزا يتحرزون به أو مغارات وهي التي في الجبال أو مدخلا وهو السرب في الأرض والنفق قال ذلك في الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقتادة لولوا إليه وهم يجمحون أي يسرعون في ذهابهم عنكم لأنهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة وودوا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة، فلهذا كلما سر المسلمون ساءهم ذلك فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون.)[1]

يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم

وقد وصفهم الله تعالى بهذا فقال: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾، [التوبة: ٦٧]

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ١٥٢.

يخبر(تعالى) منكرا على المنافقين أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم أي عن الإنفاق في سبيل الله، نسوا الله أي نسوا ذكر الله فنسيهم أي عاملهم معاملة من نسيهم ...

إن المنافقين والمنافقات من طينة واحدة، وطبيعة واحدة. المنافقون في كل زمان وفي كل مكان. تختلف أفعالهم وأقوالهم، ولكنها ترجع إلى طبع واحد، وتنبع من معين واحد. سوء الطوية ولؤم السريرة، والغمز والدس، والضعف عن المواجهة، والجبن عن المصارحة. تلك سماتهم الأصيلة. أما سلوكهم فهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والبخل بالمال إلا أن يبذلوه رئاء الناس. وهم حين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف يستخفون بهما، ويفعلون ذلك دسا وهمسا، وغمزا ولمزا، لأنهم لا يجرؤون على الجهر إلا حين يأمنون.[١]

وفيكم سماعون لهم

وقد وصفهم الله تعالى بأنهم نقالوا الأخبار، وتلك صفة لا تنتشر إلا في البيئات الدنية والنفوس التي لا تعرف الكرامة، وهذه الحملة الطويلة الكاشفة تشي بما كان للمنافقين في هذه الفترة من محاولات كثيرة لإيذاء الصف المسلم وفتنته وشغله بشتى الفتن والدسائس والأكاذيب عن وجهته.[٢]

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٦٧٣).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٥٦٨)

الفسق: كما وصفهم الله تعالى بالفسق فقال: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾، [**التوبة: ٥٣**].

الكذب: كما وصفهم القرآن الكريم صراحة بالكذب فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [**المنافقون: ١**].

الإفساد:

كما وصفهم الله تعالى بالفساد والإفساد وإهلاك الحرث والنسل، والكبر فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾، [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

والمعنى: (هو أعوج المقال سيء الفعال، فذلك قوله وهذا فعله، كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة)[1].

(١) تفسير ابن كثير:(١/ ٤٢٠)، تفسير ابن عرفة: (٢/ ٥٩٦).

كما وصفهم الله تعالى بصفات أخرى مثل الجهل، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، [التوبة:٩٧].

ووصفهم بالتذبذب وانتهاز الفرص فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾، [العنكبوت: ١٠، ١١].

إلى غير ذلك من الصفات التي تنبئ عن طبيعة هذا الصنف من الناس وتكشف خبيئاتهم، والله وحده المطلع على ما يبيتون.

***

المبحث الثالث

وسائل المنافقين في الصد عن سبيل الله وكيفية التصدي لها

وتعددت وسائل المنافقين في الصد عن سبيل الله، بل عن كل خير وبر، وفضل ومكرمة، فهم لا ينشطون إلا في الأجواء الموبوءة، ولا يسبحون إلا في فلك الإفك والدونية والتسلق؛ ومن أجل هذا يبذلون كل وسائل الصد عن وجود بيئة صالحة ومجتمع نقي يقوم على الطهر والصفاء، ويحيى على كرامة وإباء لا يعطي الدنية في دينه أو كرامته أو عزته، ونحاول في هذه الصفحات العجلى أن نتتبع وسائلهم في الصد عن سبيل الله لا للتوصيف بل للرصد ووضع وسائل مضادة للتغلب على شرهم وخطرهم، ومن أبرز هذه الوسائل ما يأتي:

١- لا يألونكم خبالا

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

ومن أهم هذه الصفات أنهم لا يألون المؤمنين خبالا ويودون عنتهم ومشقتهم، ويبذلون في هذا كل ما يملكون، من تعاون مع أعدائهم وتخطيط للقضاء عليهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا

عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾، [آل عمران.١١٨، ١١٩].

وقد نبه الله تعالى المؤمنين إلى أساليبهم وأبان أن هذه (البطانة لا تترككم طاقتها خبالا أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال يتمنون لكم العنت والشر في دينكم وما يسوءكم ولا يسركم إن هذه البطانة لا تترككم طاقتها خبالا أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال قال ابن عباس: أي: قد ظهر لكم منهم الكذب، والشتم، ومخالفة دينكم.

لقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم، لا يألون المؤمنين خبالا، أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم.[١]

وعلمهم الله تعالى أن الركون إلى هؤلاء نوع من الخذلان، وأشد مما يفعله العدو بهم، فالركون إلى الضد- بعد تبين المشاق- إعانة على الحال بما لا يبلغه كيد العدو، فأشار الحق- سبحانه- على المسلمين بالتحرز عن الاعتراض، وإظهار البراءة عن كل غير، ودوام الخلوص للحق- سبحانه- بالقلب والسر.)[٢].

---

(١) معانى القرآن للأخفش (١/ ٢٣٢) جامع البيان ت شاكر (٧/ ١٣٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٢٨٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٢).

(٢) لطائف الإشارات :(١/ ٢٧٢).

والمتتبع لآيات القرآن الكريم وحديثها عن المنافقين يتبين له عدة أمور تتعلق بهذه الشريحة التي عانى منها المسلمون قديما، وما زالوا يعانون منها حتى الآن، ومن هذه الأمور:

(أولها: ضخامة الجهد الذي كان يبذله أهل الكتاب في المدينة وغيرها، وعمق الكيد وتنوع أساليبه استخدام جميع الوسائل لزعزعة العقيدة وخلخلة الصف المسلم من ورائها.

وثانيها: ضخامة الآثار التي كان هذا الجهد يتركها في النفوس وفي حياة الجماعة المسلمة، مما اقتضى هذا البيان الطويل المفصل المنوع المقاطع والأساليب.

وثالثها: هو ما نلمحه اليوم من وراء القرون الطويلة. من أن هؤلاء الأعداء هم الذين يلاحقون هذه الدعوة

وأصحابها في الأرض كلها وهم الذين تواجههم هذه العقيدة وأهلها. ومن ثم اقتضت إرادة الحكيم الخبير أن يقيم هذا المشعل الهادي الضخم البعيد المطارح لتراه الأجيال المسلمة قويا واضحا عميق التركيز على كشف الأعداء التقليديين لهذه الأمة ولهذا الدين!.)[1].

ولقد علمنا القرآن الكريم في الآيات نفسها منهجية التصدي لوسائلهم هذه، فبين أن صبر المؤمنين وتقواهم واعتصامهم بالمنهاج الحق سبيل العصمة وصمام الأمان من مكر هؤلاء السيء، وحربهم

(١) في ظلال القرآن (١/ ٣٥٥).

المستعرة، تطمين للمسلمين فإنهم إذا صبروا وثبتوا في مواقفهم وراقبوا الله واتقوه لن يضرهم كيدهم وأذاهم وبأن الله محيط بكل ما يعملون ومحبطه. فقال تعالى ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾، [آل عمران: ١٢٠].

وقد تخللت الآيات فقرات تعقيبية جريا على الأسلوب القرآني: فالله يبين للمسلمين الآيات ويوضح لهم الحقائق حتى يعقلوها ويسترشدوا بها. وليميت هؤلاء الأغيار بغيظهم الذي يأكل قلوبهم. والله عليم بخفايا صدورهم.)[1].

إننا في حاجة ماسة إلى استلهام منهجية القرآن في التعامل مع هذه الأصناف من الناس خاصة في هذه الأزمات الراهنة، التي تختلط فيها الرؤى وتتباين فيها الأفكار، وفي اتباع منهاج القرآن نجاة وأي نجاة.

٢- الاستهزاء:

ومن أساليبهم في الصد عن سبيل الله الاستهزاء، والمخادعة، والله تعالى يقول مبينا أساليبهم هذه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾، [البقرة: ١٤]

(١) التفسير الحديث (٧/ ٢١٨).

وتلك طبيعتهم في كل زمان ومكان، وخصالهم التي لا تنفك عنهم في كل عصر ومصر.

يقول تعالى (وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: آمنا، وأظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة غرورا منهم للمؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية، وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم وإذا خلوا إلى شياطينهم يعني إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم)[١].

كما أن من وسائلهم مع هذا الاستهزاء إلقاء التهم على مخالفهم، وقد دلنا القرآن الكريم على أن نرد إليهم سهامهم ونتعامل معهم بسلاحهم، حين عبر عن سفههم هم بهذا التعبير البين المعبر، (وحصر السفاهة وهي رقة الحلوم وفساد البصائر وسخافة العقول فيهم، مع كونهم لا يعملون أنهم كذلك إما حقيقة أو مجازا، تنزيلا لإصرارهم على السفه منزلة عدم العلم بكونهم عليه، وأنهم متصفون به ولما ذكر الله هنا السفه ناسبه نفي العلم عنهم لأنه لا يتسافه إلا جاهل. والكاف في موضع نصب لأنها نعت لمصدر محذوف: أي إيمانا كإيمان الناس.)[٢].

وفي تصوير القرآن الكريم في صدر سورة البقرة لأصناف الناس (نجد الملامح الأساسية للطوائف التي واجهتها الدعوة في المدينة

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٩٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٥١).

باستثناء طائفة اليهود التي ترد إشارة صغيرة لها، ولكنها كافية، فإن تسميتهم بشياطين المنافقين تشير إلى الكثير من صفاتهم، ومن حقيقة دور هم، حتى يرد التفصيل الكامل بعد قليل.

وفي رسم هذه الملامح نجد خصائص التعبير القرآنية، التي تتجلى في قيام الكلمة مقام الخط واللون، إذ سرعان ما ترتسم الصور من خلال الكلمات ثم سرعان ما تنبض هذه الصور وكأنها تموج بالحياة..)[1].

إننا ما زلنا في حاجة ماسة لأن نتعلم أسلوب القرآن الكريم ومنهجيته في التعامل مع وسائل هؤلاء المنافقين فنتميز إعلاميا ، حتى تتساوى أو تقترب وسائلنا من وسائلهم في الدفاع عن الحق، ورد تهم الباطل وأهله في نحورهم، وقد قال الله تعالى عن القرآن الكريم: (وجاهدهم به جهادا كبيرا)، وهل هذا يبعد كثيرا عن الدعوة إلى جهادهم بالإعلام، وهل القرآن ورسالته إلا إعلام بالحق، ونقض للباطل.

٣- الأيمان الكاذبة:

كما أن من وسائلهم في الصد عن سبيل الله أيمانهم المتكررة، يحسبون بذلك أنهم يغرون الناس بأيمانهم.

قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ

(١) في ظلال القرآن (١/ ٣٧).

وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾، [التوبة: ٦٢، ٦٣].

كما قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، [التوبة: ٩٦].

وتكاد هذه الصفات تنطق بواقع نعيشه ونكتوي به، فهؤلاء المنافقون كثيرو الحلف، مغلظو الأيمان بمناسبة وبغير مناسبة، ولا تقف عند واحد منهم، بل تتفشى فيهم كما تفشت فيهم صفة النفاق، والله تعالى يفضحهم في هذه الآيات ويكشف خصائصهم، ويبنين سبب هذا الإكثار من الحلف (باسم الله، ومن استعمال الأيمان المغلظة، بمناسبة أو بغير مناسبة، شعورا منهم بفقدان الثقة فيهم، وعدم الاطمئنان إليهم، فيحولون انتزاع الثقة من المخاطبين، باستعمال الحلف وتوكيد اليمين، وذلك ما ينص عليه قوله تعالى هنا: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ ثم يرد عليهم كتاب الله مكذبا حلفهم ويمينهم الغموس، فيقول: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ وسترد آية أخرى في الربع القادم بنفس هذا المعنى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

ألا يلمح القارئ الكريم تطابقا عجيبا بين هذه التوصيف القرآني البديع وبين من يعرفهم بأشخاصهم من المنافقين!!!

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ٣٩٤).

ويمكننا أن نتخذ وسيلة من وسائل الدفاع والصد عن هؤلاء بأن نتفهم ما وقعوا فيه من كذب وافتراء فلا نقبل أيمانهم لأنهم فساق ولا يمين لهم، فلا نعتمد على أيمانهم ولا نتعامل معهم بروح الدعوة بل بحنكة الساسة الذين يتوقعون كذب هؤلاء المنافقين وافتراءهم وأن لا نحسن بهم الظن بل نكون منهم على ريبة، نعاملهم على حدود الله إذا تجاوزوها، ولا نأمن جانبهم ولا نترخص في التعامل معهم، فقد أثبت الأيام أنهم يتبعون كل ناعق ويمضون خلف كل من يسوم.

٤- الإنفاق في سبيل الصد عن سبيل الله

ومن وسائل هذا الصنف من الناس أنه ينفق ماله ليصد عن سبيل الله، ويتخذ ما ينفق مغرما، ويتربص بالمؤمنين الدوائر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾، [التوبة: ٩٨].

وهذا صنف من الأعراب وصفه الله تعالى بأنه مع المنافقين (كان داخلا إذ ذاك في عدادهم محسوبا منهم، يقوي سواد المنافقين المندسين بين المسلمين في نفس مدينة الرسول، ويتعاون معهم ضد الدعوة الإسلامية. وفي هذا الصنف المنافق الجاهل ورد قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي منهم من صار لهم النفاق طبعا وعادة حتى جاوزوا الحدود ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾. كما ورد في

وصفهم أيضا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ أي يعتبر ما ينفقه في سبيل الله غرامة وخسارة، لا قربة إلى الله وزلفى ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي ينتظر حلول الآفات بساحتكم ونزول المصائب عليكم)[1].

وهل التمويل الذي ينفق على هؤلاء من الداخل والخارج يؤكد هذه المعاني أم ينقضها، إن الأيام ما تزال تكشف لنا ولغيرنا صدق هذا الكتاب المعجز، وحقيته التي تزاد مع الأيام مضاء ورواء، وبيانا وصفاء؛ لأنه من لدن حكيم عليم.

وعلى مستوى المواجهة لابد أن يُدفع كل سلاح بما يناسبه، فهؤلاء لهم إنفاق وأموال يرصدونها في الصد عن سبيل الله، فلا بد للأمة المسلمة التي تريد أن تنهض من كبوتها أن تتميز اقتصاديا حتى تكون (المؤمن القوي)، والقوة هنا ليست قوة الساعد والسلاح فحسب بل قوة المال أيضا والاقتصاد؛ حتى ينفقوا عن سخاء، ويعطوا عن غنى، ويسخروا أموالهم لدينهم ودعوتهم، فمتى نرى الأمة تولي الاقتصاد والتجارة وما يتعلق بهما ما يناسبهما من أهمية، إن المليارات التي تنفق على الصد عن سبيل الله، ودعم الباطل في مواجهة الحق تدور من سماع أرقامها الرؤوس، ولا يتأتى هذا إلا ببذل سخي يتناسب معه بذل على الجاني الآخر.

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٣/ ١٥، ١٦). جامع البيان (١٤/ ٤٣٠).

٥- موالاة أعداء الله والمؤمنين

ومن صفاتهم التي رصدها القرآن الكريم موالاتهم للكافرين، وكل من يعادي الدين، ويتربصون بالمؤمنين في الفتح لهم أو غلبهم، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١].

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء بمعنى ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفر عليهم وذهاب ملتهم، فإن كان لكم فتح من الله أي نصر وتأييد وظفر وغنيمة قالوا ألم نكن معكم أي يتوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة، وإن كان للكافرين نصيب أي إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان كما وقع يوم أحد، فإن الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين أي ساعدناكم في الباطن، وما ألوناهم خبالا وتخذيلا حتى انتصرتم عليهم، وقال السدي: نستحوذ عليكم نغلب عليكم، كقوله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [المجادلة: ١٩] وهذا أيضا تودد منهم إليهم، فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم وقلة إيقانهم)[١].

(١) تفسير ابن كثير:(٢/ ٣٨٦)

وهكذا تكشف اللمسة الأولى عن طبيعة المنافقين، وصفتهم الأولى، وهي ولاية الكافرين دون المؤمنين، كما تكشف عن سوء تصورهم لحقيقة القوى وعن تجرد الكافرين من العزة والقوة التي يطلبها عندهم أولئك المنافقون)[1].

وهؤلاء بين القرآن الكريم منهجية التعامل مع وسيلتهم تلك فقال:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]

فيتجنبون ويحذرون ولا يؤمن جانبهم بل نكتم عنهم أخبار المؤمنين وأحوالهم، حتى لا يكونوا عينا لأعداء الدين على المؤمنين، وسبيلا لهم إليهم.

***

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٧٨٠).

المبحث الرابع

منهجية القرآن الكريم في التعامل معهم

بنى القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين منهجية بينة الملامح واضحة المعالم ظاهرة القسمات، وفقدان الرؤية القرآنية في التعامل مع الحياة والأحياء سبب أصيل للشقاء والعناء الذي يعايشه الناس اليوم وغير اليوم، فمعتقدنا أن القرآن دستور البشرية الخالد، ومنهاجها الواضح وصراطها المستقيم وهاديها الحق الذي يصل بها إلى عز الدنيا وسعادة الآخرة.

ولقد حفلت آيات القرآن الكريم بالملامح والمعالم التي تبين هذه المنهجية الرائدة التي تشي بعلم اللطيف الخبير الذي أحاط بالنفوس والقلوب؛ ولم لا وهو خالقها والعليم بخباياها وخفاياها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، [الملك: ١٤].

ولقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحديث عن منهجية التعامل مع هؤلاء المنافقين، ويمكننا من خلال حصر الآيات التي تناولت هذا الجانب من الحديث عن المنافقين، ورصد تلك الملامح، وضم الأصول الجامعة التي قامت عليها الآيات الكريمة، أن نصل إلى أن هناك أربعة ملامح أساسية ومعالم رئيسة، تحدد بوضوح منهجية التعامل مع المنافقين، ويمكننا بيان هذه الملامح وتلك المراحل في النقاط الآتية:

المطلب الأول

مرحلة عدم القعود معهم وترك مخالطتهم حتى يتخلوا عن الهزء بآيات الكتاب.

وقد بينت هذه المرحلة آية سورة النساء، والتي يدعو الله تعالى فيها المؤمنين ألا يقعدوا مع المنافقين الذين يهزؤون بآيات الله، وفيها تهديد للمنافقين بجمعهم في جهنم، يقول تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤٠، ١٤١].

وهنا نلاحظ في الآيات الكريمة بداية أن الله تعالى جمع المنافقين والكافرين في حكم واحد؛ لأن نتاج فعالهم واحد، ومرد أعمالهم إلى نتيجة واحدة، وقدم المنافقين على الكافرين في العقوبة والجزاء؛ إشارة إلى خطر المنافقين وضررهم، وشنيع فسادهم وأثرهم ؛ فالكافر اتضحت مواقفه وبانت مواقعه، أما المنافق فاندس بين المؤمنين يتكلم بلسانهم، ويتحرك بينهم، ويلبس على الناس الحق بالباطل والباطل بالحق فكان ضرره أكبر، وخطره أشد.

وخوف الله تعالى المؤمنين من مجالستهم، ومغبة الاختلاط بهم بأنهم إذا مثلهم، وفيه من التهديد الواضح ما فيه،

يقول الإمام الطبري رحمه الله: (وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون، فأنتم مثله يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، مثلهم في فعلهم، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله. فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها، فأنتم إذا مثلهم في ركوبكم معصية الله، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه وفي هذه الآية، الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من المبتدعة والفسقة، عند خوضهم في باطلهم ... إن الله جامع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار، فموفق بينهم في عقابه في جهنم وأليم عذابه، كما اتفقوا في الدنيا فاجتمعوا على عداوة المؤمنين، وتوازروا على التخذيل عن دين الله وعن الذي ارتضاه وأمر به وأهله..)[1].

وسياق الآيات وترتيبها عجيب إذ يأتي الأمر باعتزال مجالس هؤلاء المنافقين بعد بيان أنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزة، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

---

(١) تفسير الطبري : (٩/ ٣٢٠- ٣٢٢). بتصرف يسير. معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٢١). بحر العلوم (١/ ٣٤٨).

والآيات الكريمة تكاد تنطق بما يعانيه المسلمون اليوم من صنيع المنافقين وابتغائهم العزة عند الكافرين، وسيرهم في ركابهم وخضوعهم لهم، وبيعهم مبادئهم، بل دينهم رغبة في أي حياة.

وهؤلاء لابد أن يعوا الدرس، ويتفهموا أن من بحث عن العزة عند أعداء الله فلا عز ولا كرامة، فهو يبحث عن سراب، ويفتش في ضباب، ويحطب في ليل، قد يجمع بين حطبه حية يكون فيها نهايته فمن (اعتصم بمخلوق فقد التجأ إلى غير مجير، واستند إلى غير كهف، وسقط في مهواة من الغلط بعيد قعرها، شديد مكرها. أيبتغون العز عند الذي أصابه ذل التكوين؟! متى يكون له عز على التحقيق؟ ومن لا عز له يلزمه فكيف يكون له عز يتعدى إلى غيره؟

ولا ندرى أي حالتهم أقبح: طلب العز وهم في ذل القهر وأسر القبضة أم حسبان ذلك وتوهمه من غير الله؟ إن من طلب الشيء من غير وجهه فالإخفاق غاية جهده، ومن رام الغنى في مواطن الفاقة فالإملاق قصارى كده.)[1].

وهذا الحكم عام في كل مبتدع ومجاهر بمعصية، قال الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة)[2].

---

(١) لطائف الإشارات :١/ ٣٧٥).

(٢) تفسير البغوي: (١/ ٧١٤).

والمتأمل للآيات الكريمة يرى فيها (الحرب المشبوبة على الجماعة المسلمة، وعلى العقيدة الإسلامية، والقيادة الإسلامية كذلك، من أهل الكتاب- وبخاصة اليهود- وحلفاؤهم من المنافقين في المدينة، والمشركين في مكة، وما حولهما... ويرى فيها كذلك بالمنهج الرباني. وهو يأخذ بيد الجماعة المسلمة السائرة بين الأشواك الخبيثة، والأحابيل الماكرة، يقودها، ويوجهها، ويحذرها، ويكشف لها طبيعة أعدائها، وطبيعة المعركة التي تخوضها، وطبيعة الأرض التي تدور فيها المعركة، وزواياها وجوانبها الخبيثة.)[1].

ومن علامات الإعجاز في هذا القرآن، أن هذه النصوص التي نزلت لتواجه معركة معينة، ما تزال هي بذاتها تصور طبيعة المعركة الدائمة المتجددة بين الجماعة المسلمة في كل مكان، وعلى توالي الأجيال، وبين أعدائها التقليديين الذين ما يزالون هم، هم ، وما تزال حوافزهم هي، هي في أصلها، وإن اختلفت أشكالها وظواهرها وأسبابها القريبة، وما تزال أهدافهم هي، هي ، في طبيعتها وإن اختلفت أدواتها ووسائلها، وما تزال زلزلة العقيدة، وزعزعة الصف، والتشكيك في القيادة الربانية، هي الأهداف التي تصوب إليها طلقاتهم الماكرة، للوصول من ورائها إلى الاستيلاء على مقاليد الجماعة المسلمة، والتصرف في مقاديرها، واستغلال أرضها وجهدها وغلاتها وقواها وطاقاتها، كما كانت

(١) في ظلال القرآن (١/ ٥٦٥)، بتصرف يسير.

يهود تستغل الأوس والخزرج في المدينة، قبل أن يعزهم الله ويجمعهم بالإسلام، وبالقيادة المسلمة، وبالمنهج الرباني.)[١].

إن التاريخ يعيد نفسه، والأعداء هم الأعداء، والأساليب هي الأساليب، لكننا نغفل عن أن العلاج هو العلاج، فقط ينبغي لأصحاب المرض أن يفتشوا عن علاجهم في المكان الصواب، لقد تعرض المجتمع المسلم في بداياته مثل ما يتعرض له المجتمع المسلم اليوم من كيد ومكر ومؤامرات وتحالفات، تماما مثل ما يعانيه المسلمون اليوم فإن سببا من أسباب نزول القرآن فعلا أن يرسم صورة صحيحة للمجتمع الإسلامي بل المجتمع الإنساني الصحيح، والآيات الكريمة (ترد في ثناياها تحذيرات للمسلمين من سمات النفاق ومقدماته كي لا يقعوا فيها. وأخصها موالاة الكافرين، وابتغاء العزة عندهم، والقوة بهم! وتأمينهم بأن العزة لله جميعا، وبأن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا، وذلك مع رسم الصور البشعة للمنافقين في الدنيا وفي الآخرة. وتقرير أن مكانهم في الدرك الأسفل من النار.

وهذه التوجيهات والتحذيرات- بهذا الأسلوب- تشي بطريقة المنهج في علاج النفوس والأوضاع وتغيير الواقع في حدود الطاقة والملابسات القائمة كذلك، حتى ينتهي إلى تغييره نهائيا وإقامة «واقع» آخر جديد.

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٥٦٦).

كما تشي بحالة الجماعة المسلمة حينذاك وموقفها من جبهة الكفر وجبهة النفاق المتعاونتين في حرب الجماعة المسلمة والدين الجديد.

ومن خلال هذه وتلك تتبين طبيعة المعركة التي كان القرآن يخوض بها الجماعة المسلمة، وطبيعة الأساليب المنهجية في قيادته للمعركة وللنفوس.. وهي المعركة الدائمة المتصلة بين الإسلام والجاهلية في كل زمان وكل مكان. وبين الجماعة المسلمة وأعدائها الذين تتغير أشخاصهم ووسائلهم ولكن لا تتغير طبيعتهم ومبادئهم.

ومن خلال هذا كله تبرز حقيقة هذا الكتاب.. القرآن.. ودوره في قيادة الأمة المسلمة. ليس بالأمس فقط- فما جاء ليقود جيلا دون جيل. إنما جاء ليقود هذه الأمة، وليكون مرشدها وهاديها، في جميع الأجيال والدهور..)[1].

ويبين صاحب الظلال رحمه الله لماذا النهي عن مجالسة المنافقين والمستهزئين بالقرآن والدين، ألسنا في حاجة إلى سعة الأفق وحرية الرأي وتقبل الآخر .... وهكذا دواليك من العبارات الرنانة الجوفاء التي تستخدم آنا بعد آن رغبة في التلبيس والتدليس، وإضاعة أصل الحق، فيقول: (وأُوْلى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلسا يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فيسكت ويتغاضى..يسمي ذلك تسامحا،

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٧٧٥).

أو يسميه دهاء، أو يسميه سعة صدر وأفق وإيمانا بحرية الرأي!!! وهي هي الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله وهو يموه على نفسه في أول الطريق، حياء منه أن تأخذه نفسه متلبسا بالضعف والهوان! إن الحمية لله، ولدين الله، ولآيات الله. هي آية الإيمان. وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار. وإن الحمية لتكبت في أول الأمر عمدا.ثم تهمد. ثم تخمد. ثم تموت!)[1].

***

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٧٨١). التفسير الوسيط (٨/ ٢٢٨).

المطلب الثاني

مرحلة الإعراض عنهم ووعظهم والقول لهم قولا بليغا

ويصور هذه المرحلة قول الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء: ٦١- ٦٣].

وفي الآية الكريمة بيان لدعوتهم إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، وصدودهم وإعراضهم إعراضا شديدا، وكثرة حلفهم كما مضى، وبيان لأن الله تعالى عالم بما في قلوبهم، مطلع على نواياهم، ثم يدعو الرسول والمؤمنين معه إلى الإعراض عنهم، ووعظهم والشدة عليهم بالقول البالغ، ونلاحظ هنا أن النهي عنهم والإعراض عام ليس مقصورا على الجلوس معهم كما أتى في مرحلة أخرى بل الإعراض عنهم بصفة مطلقة مجالسة ومعاملة

وقد اختلف المفسرون في مفهوم الإعراض عنهم هنا؛ خاصة أن الإعراض عنهم قرن بالوعظ وفي الظاهر يوجد تنافي بينهما.

يقول الإمام الماوردي: . وفي الجمع بين الإعراض ... ثلاثة أوجه: أحدها: أعرض عنهم بالعداوة لهم وعظهم فيما بدا منهم. والثاني: أعرض عن عقابهم وعظهم.

والثالث: أعرض عن قبول الأعذار منهم وعظهم. ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتم ، فإنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ ، وهذا قول الحسن. والثاني: أن يزجرهم عما هم عليه بأبلغ الزواجر [١].

ووصف الحسن القول البليغ لهم بقوله: قل لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم، فهذا القول البليغ، لأنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ.

وقال الزجاج: أعلمهم أنهم إن ظهر منهم رد لحكمك وكفر فالقتل[٢].

ووصفه الراغب الأصفهاني بأنه ما يجمع أوصافا ثلاثة: (أن يكون صوابا في موضع لغته، وطبقا للمعنى المقصود ،لا زائدا عليه ولا ناقصا عنه، وصدقا في نفسه[٣].

---

(١) النكت والعيون (١/ ٥٠٢، ٥٠٣). التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٧٤).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٣٤٣). تفسير السمعاني (١/ ٤٤٣). تفسير البغوي: (١/ ٦٥٦). تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٥).

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٢٩٧).

وأضاف أبو حيان معنى لطيفا في القول البليغ في أنفسهم وهو التوعد بالقتل إن استداموا حالة النفاق. بقوله: ويتعلق قوله: في أنفسهم بقوله: قل، على أحد معنيين، أي: قل لهم خاليا بهم لا يكون معهم أحد من غيرهم مسارا لأن النصح إذا كان في السر كان أنجح، وكان بصدد أن يقبل سريعا. ومعنى بليغا: أي مؤثرا فيهم. أو قل لهم في معنى أنفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولا يبلغ منهم ما يزجرهم عن العود إلى ما فعلوا.)[١].

ووصف ابن عطية الإعراض عنهم بالإعراض عن معاقبتهم ، وعن شغل البال بهم، وعن قبول أيمانهم الكاذبة في قوله(يحلفون) وليس بالإعراض الذي هو القطيعة والهجر، فإن قوله: وعظهم يمنع من ذلك، وعظهم معناه بالتخويف من عذاب الله، وغيره من المواعظ،)[٢].

ويتضح من الآيات الكريمة أن السياسة التي كانت متبعة- في ذلك الوقت- مع المنافقين كانت هي الإغضاء عنهم، وأخذهم بالرفق، واطراد الموعظة والتعليم..

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٩١) محاسن التأويل (٣/ ١٩٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٧٣). زاد المسير في علم التفسير (١/ ٤٢٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٨١). مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٣٦٩). البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٩٠). تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٤).

والتعبير العجيب: «وقل لهم.. في أنفسهم.. قولا بليغا تعبير مصور.. كأنما القول يودع مباشرة في الأنفس، ويستقر مباشرة في القلوب.

كما أن في هذه الآيات تقرر القاعدة الأساسية: وهي أن الله قد أرسل رسله ليطاعوا- بإذنه- لا يخالف عن أمرهم. ولا ليكونوا مجرد وعاظ! ومجرد مرشدين! «وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله. ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك، فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله توابا رحيما.

وهذه حقيقة لها وزنها.. إن الرسول ليس مجرد «واعظ» يلقي كلمته ويمضي. لتذهب في الهواء- بلا سلطان- كما يقول المخادعون عن طبيعة الدين وطبيعة الرسل أو كما يفهم الذين لا يفهمون مدلول «الدين» .

وتلك لمحة بديعة تظهر من أثر السياق وترابطه فليس مهمة الرسل والأنبياء الوعظ فقط والوعظ المجرد بل الكلام البالغ للنفوس مداها والمستقر في أثنائها وحشاها، والمؤثر فيها وعليها؛ هو مرسل ليطاع لا ليعظ فحسب، وتلك علاقة كما تبدو من الترابط الموضوعي بين الآيات يؤكدها السياق القرآني تبدو من دلالة كلمة الدين نفسه.

***

المطلب الثالث

مرحلة تهديدهم والإغراء بهم وتحذيرهم من الأخذ والتقتيل

وقد أبان عن هذه المرحلة قول الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

إن وقائع الزمن تتكر ومواقف الناس تؤكد صدق وحقية ومصدرية القرآن الكريم، لكأن هذه الآيات تتناول فئة من الناس اليوم باعوا دينهم بغرض من الدنيا داني، وأعطوا آخرتهم بثمن بخس رخيص، فأرجفوا في المدينة ، وعاثوا فيها فسادا وإفسادا، وهؤلاء صوروا للناس الحق باطلا والباطل حقا، ولبسوا على الناس دينهم واستوى في هذا إعلاميون مستأجرون وأصحاب عمائم مزيفة وضمائر خربة أكلوا بالدين وشربوا، وأفسدوا باسمه فضلوا وأضلوا، وفي مثلهم يقول حكيم الإسلام الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله:

ولست أبالي أن يقال محمد أبل أم اكتظت عليه المآتم

ولكن دينا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

لقد كنا نقرأ هذه الأبيات ونسمعها ونستكثر دلالاتها فكيف يكون من علماء الدين من يقضي على الدين، حتى أتت المحنة وكان من فوائدها أن كشفت وفضحت .

لقد وجه (كتاب الله إنذارا صريحا إلى العناصر المندسة بين المؤمنين في مدينة الرسول وعاصمة الإسلام الأولى، محذرا تلك العناصر من عواقب نشاطها الهدام، البارز فيما تقوم به من دس جلي أو خفي، وتمسك بالانحراف الخلقي الذي اعتادته في الجاهلية، وبث البلبلة في صفوف المجتمع الإسلامي الناشئ، عن طريق ترويج الإشاعات الكاذبة، والدعايات الانهزامية المتكررة، كلما قام الرسول والمؤمنون بالدفاع عن كيان الإسلام، الذي لا يزال مهددا من طرف أحزاب الشرك والكفر في الداخل والخارج)[1].

والإرجاف المذكور في الآية الكريم كما قال المفسرون: هو الكذب الذي نافقه أهل النفاق، ذلك أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية[2].

والمرجفون هم الذين يشيعون الأخبار الكاذبة في الدولة، وهل هؤلاء غير الإعلاميين الذين مارسوا وصرحوا بأنهم أفشلوا رئيسا

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٥/ ١٥٨).

(٢) جامع البيان (٢٠/ ٣٢٧).

إسلاميا يسعى إلى الخلافة، والسبب في هذا الوعيد الشديد ما يترتب على أراجيفهم من بلاء وشر.

قال السمرقندي في بحر العلوم: إن لم يتب عن ذلك المرجفون الذين يخبرون بالأراجيف. وكانوا يخبرون المؤمنين بما يكرهون من عدوهم. والأراجيف: هي أول الاختيار. وأصل الرجف هو الحركة. فإذا وقع خبر الكذب فإنه يقع الحركة بالناس فسمي إرجافا. ويقال: الأراجيف تلقح الفتنة. يعني: إن لم ينتهوا عن النفاق وعن الفجور وعن القول بالأراجيف لنغرينك بهم يعني: لنسلطنك عليهم، ويقال: لنحملنك على قتلهم.)[1].

وقد ذهب الفقهاء إلى قتل هؤلاء الذين يتسببون في بلبلة الأمة وإشاعة الفوضى فيها، قال مالك رحمه الله: «النفاق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة فينا اليوم، فيقتل الزنديق إذا شهد عليه بها دون استتابة، لأنه لا يظهر ما يستتاب منه، وإنما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليسن لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه إذ لم يشهد على المنافقين)[2].

وهل هؤلاء الزنادقة غير العلمانيين الذين أعلنوا صراحة ببغض الإسلام والمسلمين والطعن في ثوابت الإسلام ومصادره الصحيحة،

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٧٣). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٦١).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٩٥).

على مرأى ومسمع من علماء الدين الرسميين دون أن يحركوا شعرة، أو ينبسوا ببنت شفة، ألا شاهت الوجوه.

لقد فضح القرآن المنافقين وكشف سوءاتهم، حتى كادت الآيات الكريمة أن تذكر أسماءهم، ونزلت باسمهم سورة كاملة، وتحدثت سور كثيرة عن مواقفهم وأقوالهم وأفعالهم، وأنزل بهم رسول الله ﷺ من الهوان والإذلال ما لا يخفى، حتى قال يوم جمعة: اخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق. قم يا فلان فإنك منافق)[1].

وليس هذا كثيرا على هؤلاء فقد تكاثرت صفاتهم وهم موصوف واحد كما ذهب المفسرون فإنهم قالوا: «المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة» قال هم شيء واحد، يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء.)[2].

والذي يؤكد مرحلية تعامل القرآن الكريم معهم هذه الآيات الكريمة المتوالية، ويفسر لنا معاملة النبي ﷺ لهم بداية ثم الشدة عليهم بعد، فقد بان من هذه الآية الكريمة: إيذان للمنافقين بأن النفاق يوجب جهادهم قطعا لشأفتهم من بين المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم ويعرفهم لحذيفة بن اليمان، وكان المسلمون يعرفون منهم من

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٤٨٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٥).

تكررت بوادر أحواله، وفلتات مقاله. وإنما كان النبي ممسكا عن قتلهم سدا لذريعة دخول الشك في الأمان على الداخلين في الإسلام كما قال لعمر: «لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» لأن العامة والغائبين عن المدينة لا يبلغون بعلمهم إلى معرفة حقائق الأمور الجارية بالمدينة، فيستطيع دعاة الفتنة أن يشوهوا الأعمال النافعة بما فيها من صورة بشيعة عند من لا يعلم الحقيقة، فلما كثر الداخلون في الإسلام واشتهر من أمان المسلمين ما لا شك معه في وفاء المسلمين، وشاع من أمر المنافقين وخيانتهم ما تسامعته القبائل وتحققه المسلم والكافر، تمحضت المصلحة في استئصال شأفتهم، وانتفت ذريعة تطرق الشك في أمان المسلمين، وعلم الله أن أجل رسوله عليه الصلاة والسلام قد اقترب، وأنه إن بقيت بعده هذه الفئة ذات الفتنة تفاقم أمرها وعسر تداركها، واقتدى بها كل من في قلبه مرض، لا جرم آذنهم بحرب ليرتدعوا ويقلعوا عن النفاق. والذي يوجب قتالهم أنهم صرحوا بكلمات الكفر، أي صرح كل واحد بما يدل على إبطانه الكفر وسمعها الآخرون فرضوا بها، وصدرت من فريق منهم أقوال وأفعال تدل على أنهم مستخفون بالدين)[1].

ومما سبق يتبين منهج القرآن الكريم في التعامل معهم تهديدا ووعيدا، وإظهارا لقوة الإسلام والمسلمين، وبيانا لقدرته على النيل منهم؛ حتى يكفوا أذاهم عن المسلمين، والمتأمل في سياق الآية الكريمة

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٦).

وما سبقها وما لحقها يدرك مدى التطابق الذي يبينه القرآن الكريم بين الأمس واليوم، ومدى حقية هذا القرآن العظيم، دستور البشرية في كل زمان ومكان، فالأحداث تتكرر والمواقف تتجدد، فقط علينا أن ننهل من معين القرآن الصافي وورده العذب حتى لا تكون تصورات البشر هي الحاكمة في مواقف لا يحيط بها إلا رب البشر.

***

المطلب الرابع

مرحلة مجاهدتهم والشدة عليهم والغلظة معهم

وقد ورد هذا في آيتين كريمتين، آية التوبة وآية التحريم، وفي آية التوبة يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾، [التوبة:٧٣، ٧٤].

ووردت آية التحريم بنفس الصيغة، وهي الآية التاسعة من السورة الكريمة.

وفي هذه الآيات الكريمة يبدو التغير الواضح في منهجية التعامل مع هؤلاء المنافقين، فهي جهاد لهم وغلظة عليهم ومخاشنة معهم، وتلك المعاملة بهذه الصورة لم تكن من قبل، ولعل سبب النزول يبين لنا طبيعة المرحلة التي نزلت فيها الآيات الكريم والواقع البيئي الذي كانوا فيه سواء من ناحية الدولة المسلمة أو من ناحيتهم هم، كما يبين لنا هذا ويكشف شيئا من طبيعة تلك المرحلة وهذه المنهجية من منهجيات التعامل معهم ما تضمنته الآية من بيان لمواقفهم الخبيثة، وأعمالهم المنكرة، ويوضح لنا هذا قوله تعالى: ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ﴾،،،

ولنتتبع المسألة خطوة خطوة....

الجهاد المأمور به النبي ﷺ للمنافقين

وإذا تتبعنا المقصود بجهادهم وجدنا الطبري يقول: (اختلف أهل التأويل في صفة «الجهاد» الذي أمر الله نبيه به في المنافقين. فقال بعضهم: أمره بجهادهم باليد واللسان، وبكل ما أطاق جهادهم به.

وعن علي، وابن عباس ..أمره الله بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم.

وقال آخرون: بل أمره بإقامة الحدود عليهم.

ثم رجح أن الأولى بالصواب هو جهادهم بالسيف، كالمشركين فقال: وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب، ما قال ابن مسعود: من أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين، بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين.)[1].

ويرى الحسن: جاهد المنافقين بالسيف، واغلظ على المنافقين بالحدود.

قال الحسن: كان أكثر من يصيب الحدود يومئذ المنافقون.[2]

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٣٥٨) ٣٥٩).بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٢٢٠). تفسير السمعاني (٢/ ٣٢٨). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٩٠). زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٧٨).

وقد بان من تتبع المنهاج القرآني أن هذه المرحلة من مجاهدتهم والغلظة عليهم والشدة معهم أتت بعد إظهار الحجج، وبعد ما أزاح عذرهم بأيام المهلة ففي الأول أمره بالرفق حيث قال: «إنما أعظكم بواحدة ، فلما أصروا واستكبروا أمره بالغلظة عليهم. والمجاهدة أولها اللسان لشرح البرهان، وإيضاح الحجج والبيان، ثم إن حصل من العدو جحد بعد إزاحة العذر، فبالوعيد والزجر، ثم إن لم ينجع الكلام ولم ينفع الملام فالقتال والحرب وبذل الوسع في الجهاد.)[1].

وجملة القول في هذا الباب أن سياسة الإسلام في المنافقين أن يعاملوا بحسب ظواهرهم وما يبدو من أعمالهم، وأن للإمام الأعظم أو عليه – ومثله نوابه من أولياء الأمور – أن يعرض في الخطب العامة والتصريحات الرسمية بتقبيح ما يعلم من سوء أعمالهم والإنذار بسوء عواقبها ليعدهم للتوبة منها، أو الحذر من إظهار ما يضمرونه من الشر الذي يترتب عليه العقاب.

وتتضمن هذه السياسة الأصول الآتية:

١- أن حرية الاعتقاد والوجدان مرعية لا سيطرة عليها للرؤساء الحاكمين، ولا للمعلمين والمرشدين، وإنما لهؤلاء حق في التربية والتعليم، فليس لأحد أن يتهم إنسانا بإضمار الكفر ولا بنية الخيانة لملته أو دولته، ولا بإرادة السوء لقومه وأمته، ولا أن يعاقبه على

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٤٦).

ذلك بعقاب بدني ولا مالي، ولا بحرمانه من الحقوق التي يتمتع بها غيره من أفراد الأمة.

٢ - أنه ليس لمن يضمر الكفر بالله أو بما جاءت به رسله أن يكون فتنة للناس بإظهار ذلك لهم ودعوتهم إليه، أو الطعن في عقائدهم، أو إظهار ما ينافيها من قول أو عمل، وإن لم يكن دعوة ولا طعنا، فإن فعل ذلك وكان يدعي الإسلام يحكم بارتداده وخروجه من الملة، إن كان ما أظهره من الكفر صريحا قطعيا مجمعا عليه لا يحتمل التأويل، ويترتب عليه ما هو مقرر في الشرع من استتابته وعقابه إن لم يتب (ومنه منع التوارث بينه وبين المسلمين وفسخ نكاحه بالمسلمات، وعدم تشييع جنازته والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين)؛ لأن حرية كل أحد في اعتقاده تقف عند حد حرية غيره. ولا سيما احترام عقائد الملة التي يعيش في ظل شريعتها، وسائر شعائرها وعباداتها.....

٣ - أن من ظهر منه شيء من أمارات النفاق العملي في الدين، أو الخيانة للأمة والملة بما هو غير صريح، مما لا يعاقب عليه في الشرع بحد ولا تعزير، فلولي الأمر أن يعظه بالتعريض، ثم بالتصريح والتكشيف، وله أن يعاقبه بما يرجى أن يزعه عن غيه من التأديب، كالحرمان من مظاهر التشريف، أو الازورار والتقطيب، أو التأديب والتعنيف....

ولكن الملوك المستبدين يقربون إليهم المنافقين فيزيدونهم فسادا، ويجرئون غيرهم بل يرغبونه في النفاق وخيانة الأمة جهارا، حتى إن المناصب الدينية المحضة صارت تنال بالنفاق، ويذاد عنها أهل الصدق والإخلاص، وإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.)[1].

وفي تلخيص صاحب المنار هذه الأحكام بيان كاف في تنوع صور النفاق في المجتمع المسلم، وتنوع الحكم عليهم تبعا لذلك، ولله ما أروعه عندما ربط بين النفاق والمنافقين وبين الحكام المستبدين، لكأنه يعيش اليوم ما تعانيه الأمة من استخدام المستبدين للمنافقين في كل مجال من أذرع إعلامية وعمائم رزية، ومتسولين على الدين بالفتوى الباطلة يحلون فيها الحرام ويحرمون فيها الحلال، ويصفون أهل الهدى بالضلال وأهل الفسوق وسفك الدماء بالرسل والأنبياء.

لقد تنوع المجتمع المسلم في المدينة، وتجاور فيه فئام مختلفون في المعتقدات والأغراض وفي نزول الآيات التي تتناول المنافقين ومنهجية التعامل معهم إرشاد بين لهذا التنوع وبيان كاف لكيفية التعامل مع كل هؤلاء، فلقد كان (إلى جوار السابقين المخلصين من المهاجرين والأنصار- وهم الذين كانوا يؤلفون قاعدة المجتمع المسلم الصلبة القوية- جماعات أخرى.. الأعراب وفيهم المخلصون والمنافقون

(١) تفسير المنار (١١/ ١١٤، ١١٥).

والذين لم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان والمنافقون من أهل المدينة. وآخرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولم يتم انطباعهم بالطابع الإسلامي ولم يصهروا في بوتقة الإسلام تماما. وطائفة مجهولة الحال لا تعرف حقيقة مصيرها متروك أمرها لله وفق ما يعلمه من حقيقة حالها ومآلها. ومتآمرون يتسترون باسم الدين! .. والنصوص القرآنية تتحدث عن هذه الجماعات كلها في اختصار مفيد وتقرر كيف تعامل في المجتمع المسلم، وتوجه رسول الله ﷺ والخلص من)[1].

لقد بين القرآن الكريم أن كل مرحلة من مراحل الدعوة لها طبيعتها وسياقها، وكل شريحة من المنافقين لها أسلوب التعامل اللائق بها، تخويفا وردعا، أو غلظة وشدة ومجاهدة، والخلط في هذه الأساليب مضر بالدولة والأمة على حد سواء، (إن للين مواضعه وللشدة مواضعها. فإذا انتهى أمد اللين فلتكن الشدة وإذا انقضى عهد المصابرة فليكن الحسم القاطع.. وللحركة مقتضياتها، وللمنهج مراحله. واللين في بعض الأحيان قد يؤذي، والمطاولة قد تضر.)[2].

ولقد تعددت أسباب نزول آيات كثيرة تخص المنافقين ، كما تعددت الروايات في أسباب النزول لهذه الآية الكريمة، وكلها منثور في كتب التفسير والأسباب، منها:

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٥٦٨).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٦٧٧).

ما رواه الإمام أبو جعفر ابن جرير بإسناده عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا تحت ظل شجرة، فقال: «إنه سيأتيكم إنسان، فينظر إليكم بعين الشيطان، فإذا جاء فلا تكلموه»

ومنها: قال قتادة: نزلت في عبد الله بن أبي. وذلك أنه اقتتل رجلان، جهني وأنصاري، فعلا الجهني على الأنصاري، فقال عبد الله للأنصاري: ألا تنصرون أخاكم؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل:سمن كلبك يأكلك. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي ﷺ فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله، فأنزل الله فيه هذه الآية

ويروي الإمام أبو جعفر ابن جرير بإسناده عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا تحت ظل شجرة، فقال: «إنه سيأتيكم إنسان، فينظر إليكم بعين الشيطان، فإذا جاء فلا تكلموه» .

فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟» فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ... الآية.﴾[1].

وكثرة الروايات هذه تشير إلى مواقف المنافقين المتعددة وإيذائهم المتكرر للرسول ﷺ والمسلمين وعموم النص يستغرق كل هذه المواقف.

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٦٧٧

ونلاحظ هنا في معالجة القرآن الكريم لهذه النوعية من الناس عددا من الملاحظات منها:

١- أنه ركز الحديث عن كثرة حلفهم وأيمانهم الباطلة كما قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ... ﴾ [التوبة: ٧٤].

وقال: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ...﴾ التوبة: ٦٢.

وقال في سورة المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فهل هناك علاقة بين هذه الصفة في المنافقين قديما ومنافقي اليوم، أستدعي فقط الصورة بين يدي القارئ الكريم من واقع المجتمعات التي نعيشها لنرى اطراد التوصيف القرآني وبالتالي اطراد التشخيص فالعلاج.

٢- كما نلاحظ أن القرآن الكريم جمعهم مع الكافرين في الأمر بقتالهم والغلظة عليهم والشدة معهم، لاشتراكهم مع الكافرين في أسباب هذه الأفعال، حتى يجمعهم الله جميعا في جهنم غير مأسوف عليهم.

يقول صاحب التحرير والتنوير: (وقرن المنافقون هنا بالكفار: تنبيها على أن سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقق في المنافقين، فجهادهم كجهاد الكفار، ولأن الله لما قرنهم في الوعيد بعذاب

الآخرة إذ قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٨] وأومأ قوله هنالك بأن لهم عذابا آخر، لا جرم جمعهم عند شرع هذا العذاب الآخر لهم.)[١].

٣- أن الله تعالى لا يعفيهم من عقوبة الآخرة مقابل عقوبة الدنيا ؛لأن الغلظة عليهم في الدنيا لضمان سلامة حركة الحياة، وليعلم كل منافق أنه مفضوح من الله. ولكن هذا لا يعفي من عذاب الآخرة.)[٢].

***

(١) التحرير والتنوير: (١٠/ ٢٦٥).

(٢) تفسير الشعراوي (٩/ ٥٣٣٩).

المبحث الخامس

سنة الله تعالى في المنافقين

المتتبع لآيات القرآن الكريم في النفاق والمنافقين يدرك بجلاء أن لله (تعالى) فيهم سنة ماضية، وقانونا قائما، لا يتبدل ولا يتخلف، وناموسا حاكما لا يتغير ولا يتوقف؛ شأنَ فعل الله تعالى في خلقه وكونه، يمضي الجميع على سَنن ثابت، ويجري حسْب نظام مطرد، لا يتعداه ولا يتحداه، بل الكل منسجم في فلك واحد منتظم في سَلْك خاص، كما تمضي القوانين على جوانب الكون كلها، بلا تحيف ولا تحيز، ولا انتخاب ولا محاباة.

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾، [يس: ٣٨-٤٠].

وقد تتبعت آيات السنن في القرآن الكريم جردا وسردا وتأملا ورصدًا فوجدت ما يبهر العقل ويستوقف النظر وينادي السالكين أن الطريق من هنا: وجدت أنه لا توجد آية تتناول السنن الاجتماعية أو التاريخية أو أي صورة من صور السنن المتعلقة بالبشر إلا ومعها سنة من سنن الله (تعالى) في الكون وظواهره، كأنها إشارة باهرة قاهرة إلى أن الذي صنع السنة في الكون قادر على أن يحدثها في الإنسان، وسنن الله في

الكون ظاهرة يلمحها الناس بسهولة لسرعة حصولها وبيان حدوثها، فكان هذا لفتا لأنظار الناس إلى أن خالق هذه وخالق تلك واحد وهو الله رب العالمين.

كما ألاحظ هنا في آيات السنن التي تناولت المنافقين أنها وردت مربوطة التاء ومفردات السنن وردت في القرآن ثماني عشرة مرة في عشر سور في إحدى عشرة آية خمس منها مفتوحة التاء، وثلاث عشرة مربوطة التاء، وقد شغلتني هذه المفارقة سنوات عديدة حتى وجدت للزركشي في البرهان كلاما رائعا ماتعا نافعا، يبين فيه أن السنة إذا وقعت في الناس وردت مفتوحة التاء، وإذا كانت قدرا مخبوءا وردت مضمومة التاء، يقول الإمام الزركشي (رحمه الله):

(إن هذه **الأسماء** لما لازمت **الفعل** صار لها اعتباران أحدهما من حيث هي أسماء وصفات وهذا تقبض منه التاء والثاني من حيث أن يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود فهذا تمد فيه كما تمد في قالت وحقت وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة، ومنها السنة مقبوضة إلا في خمسة مواضع حيث تكون بمعنى الإهلاك والانتقام الذي في الوجود، أحدها في الأنفال: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ويدل عليها أنها من الانتقام قوله قبلها: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ وقوله بعدها ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾

وفى فاطر: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ﴾ ويدلك على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ وسياق ما بعدها

وفى المؤمن: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾، أما إذا كانت السنة بمعنى الشريعة والطريقة فهي ملكوتية بمعنى الاسم تقبض تاؤها كما في الأحزاب ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ﴾ أي حكم الله وشرعه

وفي الإسراء: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ﴾[1].

وأول ما يستوقف النظر، ويسترعي الانتباه فيما يتعلق بالنفاق والمنافقين وسنن الله تعالى فيهم أن الله تعالى أبان في عدد من قواعد القرآن عنهم كثيرا مما يكشف خبيئاتهم، ويطمئن المؤمنين عن فعل الله بهم، ولنتناول شيئا من تلك القواعد القرآنية تطمينا للقلوب وتبشيرا للنفوس، و والقواعد القرآنية لها بسنن القرآن العروة الوثقى، والصلة المتينة الواضحة- ومن هذه القواعد:

١- لن يجعل الله لهم على المؤمنين سبيلا

لن يجعل للمنافقين على المؤمنين سبيلا، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ

(١) البرهان (١/ ٤١٣).

لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾، [النساء:١٤١].

والعجيب هنا أن الله تعالى عبر عن المنافقين بلفظ الكافرين على الرغم من أن سياق الآيات السابقة واللاحقة تتحدث عن المنافقين، وفي ذلك نكتة لطيفة، وهي أنهم اتحدوا مع الكافرين في النتيجة وإن اختلفوا عنهم في السلوك، فجمعهم الله تعالى معهم في الدنيا بهذا البيان المعجز القاهر الباهر، كما عبر عن جمعهم في النار سويا بصورة صريحة في الآية السابقة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾، [النساء: ١٤٠].

ولنا أن نتساءل هل هذا يتنافى مع الواقع المعيش الذي يحياه الناس اليوم من تسلط الكافرين والمنافقين على المؤمنين؟ والجواب لا ولا يمكن أن يتعارض مع كلام الله الحق وحكمه العدل وهو الذي يقص الحق ويهدي السبيل،(كلام صاحب الظلال هنا)

٢- إخراج الله ما في قلوبهم، وكشف خبيئاتهم

ومن قواعد القرآن في شأن المنافقين أن الله (تعالى) يخرج ما في قلوبهم على الرغم من إخفائهم وتعتيمهم، ورغبتهم في عدم الكشف، إلا أن الله تعالى يفضحهم ويعري نواياهم حتى يكونوا عبرة لمن بعدهم، يقول

تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤].

إنهم في حذر دائم، وتربص مستمر؛ خوفا من أن يفتضح أمرهم وينكشف سرهم، والله من ورائهم، وهو لهم بالمرصاد، فجعلهم الله أحاديث ومزقهم كل ممزق.

وهل هناك علاقة بين هذه القواعد القرآنية وبين الواقع الذي نعيشه الذي يفتضح فيه هؤلاء المنافقون كل يوم حتى أوشك أن تكون أسرارهم على الملأ في كل شيء، لقد أسروا الحاكم الشرعي المنتخب وحبسوا صوته عن شعبه، وافتروا عليه زورا وبهتانا ، ففضحهم الله على رؤوس الأشهاد، وأصبحت أسرارهم في كل بيت، وفضحهم على كل لسان.

كما أن من القواعد التي رصدها القرآن الكريم:

٣- وفيكم سماعون لهم

٤- لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا

ويمكن أن نرى سنن الله تعالى في المنافقين من خلال الآتي:

١- أن الله يعقبهم نفاقا في قلوبهم

ولسائل أن يقول: كيف يعقبهم الله نفاقا في قلوبهم، وهم لم يبدؤوا النفاق، والجواب أنهم مجبولون مفطورون على صفاته، من بخل وشح

ومنع للحق وكره للخير وبغض لأولياء الله، فأعقبهم الله سيئة بسيئة، وسوءا بسوء، فكما أن الحسنات ينادي بعضها على بعض، فكذلك السوء والسيئات ينادي بعضه على بعض، فكان ولوجهم في النفاق مدعاة إلى مزيد من النفاق، (إذ السيئة تشجع على أختها، والمعصية الصغيرة تدفع إلى ما هو أكبر منها، «فالمعاصي بريد الكفر» كما ورد في الأثر. وذلك ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ ﴾ أي فأعقبهم بخلهم نفاقا راسخا في قلوبهم، لازما لهم إلى يوم الدين، يوم يلقون جزاء نفاقهم، حيث يعرضون على الله للحساب والعقاب، ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ أي أن ذلك بسب إخلافهم للوعد، وخيانتهم للعهد ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ أي وبسب كذبهم فيما تحدثوا به والتزموه، إذ كانوا منطوين على سوء النية من أول وهلة)[1].

ويلخص هذه السننية كلمة بديعة مختصرة قالها الزجاج رحمه الله في معاني القرآن، وهي أنه تعالى: أضلهم الله بفعلهم.[2]

وفى الجملة: من نقض عهده في نفسه رفض الود من أصله، وكل من أظهر في الجملة خيرا واستبطن شرا فقد نافق بقسطه.)[3].

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ٤١٤).وانظر: جامع البيان :(١١/ ٥٧٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٦٢).

(٣) لطائف الإشارات:(٢/ ٤٨).

ومن بدائع النظم القرآني هنا لفظة: (فأعقبهم)، فهي تدل على العقوبة من فعاقبهم، وتدل على الإعقاب أي بخلوا واستمرؤوا النفاق فترتب على صنيعهم ولوجهم في النفاق واستغراقهم فيه، وتلمح هذا المعنى من كلام السمعاني عندما يرى أن أعقبه بمعنى واحد[١].

ولسائل أن يقول: فاعل الإعقاب هو الله تعالى أم بخلهم، والجواب أن المعنيين واردان قال بالأول وهو أن الفاعل هو الله تعالى ابن عباس ومجاهد، وقال الحسن بالثاني وهو أعقبهم بخلهم بما نذروا نفاقا.[٢]

ويرجع صاحب المنار العالم السنني الرائد في هذا الباب – يرجع الأمرين إلى مآل واحد إذا فهمناهما على الوجه الصحيح، لكن النسبة إلى البخل آدب مع الله تعالى ثم بين وجه الترجيح بأن سنته تعالى في البشر أن العمل بما يقتضيه النفاق يمكن النفاق ويقويه في القلب. كما أن العمل بمقتضى الإيمان يزيده قوة ورسوخا في النفس، وهكذا جميع صفات النفس وأخلاقها وعقائدها، تقوي وترسخ العمل الذي يصدر عنها، فإسنادها إلى العمل يكون صحيحا بهذا الاعتبار لا بالمعنى الذي تقوله المعتزلة القدرية، كما أن إسنادها إلى الله تعالى يكون صحيحا ; لأنها مقتضى سنته وتقديره، لا بالمعنى الذي تقوله

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٣٣١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٨٣). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٩٠).

الجبرية والصوفية، فالمراد من التقديرين واحد. ويؤيده ما ورد في سبب النزول)[١]

٢- الإغراء بهم وأخذهم وتقتيلهم تقتيلا

ومن سنن الله تعالى في المنافقين عند عدم انتهائهم أن يغرى بهم ويؤخذوا ويقتلوا تقتيلا، فيسلط الله عليهم نبيه في زمانه فيغريه بهم لما يقومون به من تعريض سلامة الدولة الناشئة للخطر، وفي هذا (تأكيد لناموس الحياة الذي عرفته البشرية من)[٢].

وتلك سنة الله الماضية في الأمم السابقة والشعوب الغابرة أن يشرد أو يقتل أولئك الذين يسعون بالإفساد بين سواهم، وذلك بإجلائهم عن أوطانهم وقهرهم وإذلالهم وقتلهم أينما وجدوهم على حالة الإفساد وإشاعة الفزع والخوف بين المؤمنين، فأمر رسول الله ﷺ مع هؤلاء الضالين ليس بدعا، بل هو سائر على نظام سابق حكيم، وقضاء محكم، ولن تجد لقضاء الله وحكمته تغييرا وتبديلا، فلا يبدل الله سنته، ولا يستطيع أحد من خلقه تبديلها.[٣]

---

(١) تفسير المنار (١٠/ ٤٨٢). تفسير المراغي (١٠/ ١٦٩).وسبب النزول هنا متعلق بما حدث من طلب ثعلبة من الرسول ﷺ الدعاء له بالغنى وما ترتب على غناه ومنعه الزكاة، وهو مشهور في كتب التفسير.

(٢) التيسير في أحاديث التفسير (٥/ ١٥٨).

(٣) التفسير الوسيط :(٨/ ٢٢٨).وانظر: جامع البيان:(٢٠/ ٣٢٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٣٧). بحر العلوم (٣/ ٧٤).

والمراد من عدم التبديل هنا عدم التغيير أو التحويل؛ وعليه فمن قتل من المنافقين المتسببين للقتل فلا دية على قاتله وبهذا قال السدي[١].

وهذه السنة ماضية لا تتبدل ولا تتخلف ولا تتحول ولا تتغير، بل لا يدخلها النسخ كما هو معلوم من خصائص السنن، كما أنه لا يملك أحد أن يبدلها أو يغيرها، فهي غير قابلة للتبديل من نفسها، ولا يملك أحد تبديلها.

فإن لم يمتنع هؤلاء المنافقون عن الإرجاف والتثبيط وأمثال ذلك (لأجرينا معهم سنتنا في التدمير على من سلف من الكفار[٢].

ومن لطائف البيان القرآني هنا أنه عبر عن السنة معهم بفي فقال: (في الذين خلوا من قبل)وهي تدل على الظرفية المجازية، كما ذيلت الآية بتأبيد عدم التبديل، بما يفيد العموم الكامل والاطراد الذي لا يقف، (شبهت السنة التي عوملوا بها بشيء في وسطهم كناية عن تغلغله فيهم وتناوله جميعهم ولو جاء الكلام على غير المجاز لقيل: سنة الله مع الذين خلوا... وذيل بجملة ولن تجد لسنة الله تبديلا لزيادة تحقيق أن العذاب حائق بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهوا عما هم فيه وأن الله لا يخالف سنته لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سنن واحد.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٤٢٥

(٢) تفسير القشيري (٣/ ١٧١).وانظر: تفسير البغوي: (٣/ ٦٦٥).

والمعنى: لن تجد لسنن الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلا. وبهذا العموم الذي أفاده وقوع النكرة في سياق النفي تأهلت الجملة لأن تكون تذييلا.)[١].

٣- نسيان الله لهم

ومن سننه تعالى فيهم نسيانه لهم، وما أقساها من عقوبة وما أشدها على النفس من بلاء، أن لا يجد العبد فسحة من الرحمة عند من سمى نفسه الرحيم، وأن لا يجد لنفسه موضعا من المغفرة عند من اسمه الغفور.

وهؤلاء مضت سنة الله تعالى فيهم أنهم موضع النسيان والإهمال، وموصوفون بالخزي والنكران والاحتقار، وإن هملجت بهم ركائبهم، وتمايلت بهم رحائلهم؛ إلا أن ذل الخزي في وجوههم وعلى ملامحهم، ويأبى الله إلا أن يذل من عصاه.

وليس هذا ظلما لهم، بل جزاء ما فعلوه، ولقاء ما قدموه؛ فهم (تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته، وتركوا حق الله عليهم فحرمهم فضله، وأغفلوا أمره حتى لم يعد يخطر لهم على بال فتركهم الله تعالى في الحرمان والخذلان، ولم يقم لهم وزنا، فهم بمعزل عن فضله ورحمته)[٢].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ١١١).

(٢) انظر: جامع البيان:(١٤/ ٣٣٩ التفسير الوسيط:(٣/ ١٧٢٧ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٦٠) بحر العلوم (٢/ ٧١،.بترتيب وتصرف.

ويبين خطر هؤلاء المنافقين وعددهم ما نقل عن ابن عباس أنهم المنافقون بالمدينة من الرجال ثلاثمائة ، ومن النساء سبعون ومائة امرأة.[١].

ولنا أن تصور هذا المجتمع النبوي الناشيء وتلك الدولة الصاعدة، والتي تخط سبيلها نحو التأسيس والنهوض، وفيها هذا العدد من المنافقين والمنافقات، في خير القرون وأفضل العصور، حتى لا نعجب من نظام عالمي يمتهن النفاق والخداع والتلون، إنها سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير، ولكن لا نلوم هؤلاء على نفاقهم

فتلك العصا من هذه العصية هـــل تلــد الحيــة إلا حيه

لا نلومهم على هذا وإن كنا نمقتهم، وإنما نلوم من يغفل عن منهج الله في معاملتهم وسنن الله تعالى فيهم.

أنا لا ألوم المستبد إذا تجاوز أو تعدى

فسبيله أن يستبد وشأننا أن نستعدا

وسياق الآيات الكريمة يؤكد شمولية هذا العقاب لجميع المنافقين في كل زمان ومكان وفي كل عصر ومصر، وشموليته لجنسهم ذكورا وإناثا، ومن هنا ضرب المثل لهم بحال أمثالهم في الأمم قبلهم. فاتصالها بما قبلها من بيان شؤون المنافقين المتعلقة بغزوة تبوك هو من قبيل

(١) النكت والعيون (٢/ ٣٧٩

التناسب بين القواعد العلمية في الأخلاق، والسنن العامة في روابط الاجتماع، وبين الوقائع الخاصة التي تعد من الشواهد على هذه القواعد والسنن.)[١]

ونسيان الله تعالى لهم كما هو سنة ربانية، وقانون إلهي وناموس كوني لا يتغير ولا يتبدل، مناسب لصنيعهم؛ فالجزاء من جنس العمل، إنهم («نسوا الله» فلا يحسبون إلا حساب الناس وحساب المصلحة، ولا يخشون إلا الأقوياء من الناس يذلون لهم ويداروهم «فنسيهم» الله فلا وزن لهم ولا اعتبار. وإنهم لكذلك في الدنيا بين الناس، وإنهم لكذلك في الآخرة عند الله. وما يحسب الناس حسابا إلا للرجال الأقوياء الصرحاء، الذين يجهرون بآرائهم، ويقفون خلف عقائدهم، ويواجهون الدنيا بأفكارهم، ويحاربون أو يسالمون في وضح النهار.

أولئك ينسون الناس ليذكروا إله الناس، فلا يخشون في الحق لومة لائم، وأولئك يذكرهم الله فيذكرهم الناس ويحسبون حسابهم)[٢]

ومن بدائع البناء القرآني في البيان أن الله تعالى وصف هؤلاء المنافقين واتصالهم بعضهم ببعض بقوله: ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾،[التوبة: ٦٧]. في حين وصف المؤمنين بقوله: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة ٧١].

---

(١) تفسير المنار (١٠/ ٤٥٩، ٤٦٠).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٦٧٣).

فالمؤمنون أولياء بعض بما تحمله معنى الولاية من النصرة والعون والسداد والستر والكفالة، وليس كذلك المنافقون فلا يعدو عونهم بعضهم بعضا إلا بالكلام وبما لا يكلف من الأعمال، وما أروع هذا البيان القرآني البديع وما أدق تصويره، يقول صاحب المنار في بيان هذا: (ونكتة الفرق بين المؤمنين والمنافقين في الوصف المتقابل هنا أن المنافقين لا ولاية بينهم بأخوة تبلغ فضيلة الإيثار، ولا تناصر يبلغ الإقدام على القتال ; لأن النفاق شكوك وذبذبة من لوازمهما الجبن والبخل وهما الخلقان المانعان من التناصر، ببذل النفس والمال، بل قصاراه التعاون بالكلام وما لا يشق من الأعمال، وإنما تكون ولاية التناصر بالقتال لأصحاب العقائد الثابتة، والملة الراسخة، سواء كانت حقا أو باطلة...؛ذلك أن المنافقين يشبه بعضهم بعضا في شكهم وارتيابهم ونفاقهم وآثاره من قول وعمل، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض في الولاية العامة من أخوة ومودة وتعاون وتراحم، حتى شبه النبي ﷺ جماعتهم بالجسد الواحد، وبالبنيان يشد بعضه بعضا، وولاية النصرة في الدفاع عن الحق والعدل، والملة والوطن، وإعلاء كلمة الله عز وجل، وفي آثار ذلك من القول والعمل المضاد لما عليه المنافقون وهو ما يبينه بيانا مستأنفا بقوله: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما أن المنافقين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهاتان الصفتان من أخص صفات المؤمنين التي يمتازون بها على المنافقين وعلى غيرهم من الكفار، هما سياج حفظ الفضائل، ومنع فشو الرذائل)[1].

(١) تفسير المنار (١٠/ ٤٦٧) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٤).

ملامح السننية في منهجية القرآن في التعامل مع المنافقين

وتبدو ملامح السننية في تلك القضية الشائكة في عدد من النقاط، ويمكن أن نتتبعها في الآتي:

١- **النص تصريحا على السننية**، كما ورد في آية الأحزاب، والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠- ٦٢].

ففي هذا النص صراحة دليل على سننية القضية واطرادها وليس بعد هذا من معقب.

٢- **التركيبة البنيوية التي وردت بها الآيات الكريمة**، مثل:(نسوا الله فنسيهم)، (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون)

٣- **عموم الأحكام واطرادها**، وشمولها وطلاقة الأحكام التي تناولتها الآيات في هذه القضية.

٤- **ترتب النتيجة على المقدمة ترتب الشرط على الجزاء** كما ود في كل الآيات التي تناولت أجزية المنافقين.

وهذا ما يدل صراحة على أن الله تعالى مع المنافقين سنة لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير ولا تتخلف.

الخاتمة؛
أسأل الله حسنها

وبعد هذه الرحلة في صحبة القرآن الكريم وعطاءاته الماتعة النافعة، وأحكامها الحقة الخالدة التي تتناسب مع كل زمان ومكان؛ فهو دستور البشرية الخالد ومنهاجها القويم وهاديها إلى صراطها المستقيم يمكننا أن نلمح النقاط الآتية:

١- وجوب رعايتنا لمفاهيم القرآن الكريم عمليا في تعاملنا مع الفئات المختلفة فقد وصَّفها الله تعالى توصيفا يكشف طبيعتها ويبين طواياها، ونواياها، وأحكام القرآن عام وشاملة ومستمرة ومطردة.

٢- عناية القرآن الكريم بالحديث عن النفاق والمنافقين وتشخيص أوصافهم، وبيان مواقفهم وفضحهم وكشف عوارهم.

٣- رصد القرآن الكريم لصفات المنافقين للتعرف عليها وإحسان التعامل معها.

٤- بيان القرآن الكريم لوسائل المنافقين في الصد عن سبيل الله، ولم يكتف القرآن بالتوصيف بل تناول منهجية التعامل مع هذه الصفات كل صفة على حدة.

٥- وضع القرآن الكريم قواعد عامة تبين الموقف من المنافقين.

٦- للقرآن منهجية محددة في التعامل مع المنافقين تتميز برعاية الحال والمقام.

٧- تدرج القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين حسب طبيعة الموقف وقوة الدولة والدعوة.

٨- لله تعالى في معاملة المنافقين سنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، والوعي بها يثبت القلب ويريح الفؤاد ويعين على مواصلة الطريق.

***

أهم المصادر والمراجع

١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر : دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد

٢- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٣- إصلاح المنطق ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ) ت: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٦- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٧- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٨- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٩- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ،لحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)،المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

١٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)،المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١١- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

١٢- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: سمير المجذوب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٤- تفسير الإمام ابن عرفة، المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. حسن المناعي، الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م.

١٥- تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)،الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

١٦- تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)،المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

١٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

١٨- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٩- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)،المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

٢٠- تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٢١- التفسير الميسر، : مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

٢٢- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٢٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٤- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٢٥-الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)،ت حقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م،

٢٦- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،الناشر: دار الفكر – بيروت.

٢٧- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)،الناشر: دار الفكر – بيروت

٢٨- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٢٩- شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي، ١/ ٢٧، ط دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط: الثانية ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م.

٣٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

٣١- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٣٢- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)،الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ

٣٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى]

٣٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن:: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٥- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن

إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)،المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

٣٦- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)،المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨

٣٧- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، المؤلف: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

٣٨- محاسن التأويل: المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٤٠- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى:

٤٥٨هـ)،المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٤١- معالم التنزيل في تفسير القرآن: لمحيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)،المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٤٢- معانى القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

٤٣- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٤- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)،المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٥- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)،المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٦- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٤٧- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)،المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٤٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤١٥، هـ - ١٩٩٥ م

٤٩- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)،تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٠- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب ،العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

***

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
المبحث الأول: مفهوم النفاق والمنافقين	١٣
المبحث الثاني: صفات المنافقين وكيفية التصدي لها	٢٠
المبحث الثالث: وسائل المنافقين في الصد عن سبيل الله	٢٧
المبحث الرابع: منهجية القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين	٣٨
المبحث الخامس: سنن الله تعالى في المنافقين	٦٥
الخاتمة، أسأل الله حسنها	٧٩
فهرس المصادر والمراجع	٨١
فهرس الموضوعات	٩٢

هذا الكتاب

جزء من مشروع علمي ولبنة من لبنات بنائه، يبتغي صوغ منظومة قرآنية في زاوية التفسير الموضوعي يسعى إلى رصدها ومراكمة بعضها فوق بعض حتى يستطيل هذا الصرح

شهدت منطقتنا العربية حالة من حالات التغير الطَّفْري، وصورة من صور الكشف الحقيقي لأنواع الناس وأنماطهم بناء على التغير الجذري الذي عاشته . وما زالت .

وكان لزاماً على العلماء والباحثين والدعاة والمربين أن يرصدوا هذا التغير ويتعاملوا معه بمنهجية تعتمد في لحمتها على القرآن الكريم، مستصحبة الواقع وما طرأ عليه من أحداث كشفت . وما زالت . تكشف عن هذه الأنواع البشرية التي صدم بها كثير من الناس، وعجبوا أشد العجب من تغيرها وتبدلها وتغير سلوكها وتعاملها، بل تبنيها لقضايا جدّ باطلة، كما بان من هذه الأحداث إعلاميون تغيَّروا تغيراً من النقيض إلى النقيض، ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

والهدف من الدراسة ليس التوصيف وإنما تقديم منهجية ثابتة، واضحة، لحالة واقعية غير متخيلة، وإبراز رؤية قرآنية واضحة عن منهجية التعامل مع صنف من الناس يتلونون تلون الحرباء، ويتغيرون تغير الأيام، ويتصرفون تصرف الدهور. حمانا الله وإياكم منهم. آمين.

تصميم الغلاف
+201005833852

9 789772 789238

01012355714 - 01152806533
darelbasheerealla@gmail.com
elbasheer.marketing@gmail.com
www.darelbasheer.com

دار البشير
للثقافة والعلوم